# خطبة الجمعة

## التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

## الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

## يوم ٢٠٠٩/٠٥/٨

## في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبـــده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُـــدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْـــرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

من أسماء الله ﷻ "الواسعُ" ومعناه: الذي يَسَعُ رِزْقُه خَلْقَه كلَّه، والـــذي رحمته تحيط بكل شيء، والذي غِناه يغطي كل حاجات الناس، ومن معانيها الكثيرُ العطاءِ يسع لَمّا يُسأل. وعند البعض: الذي يحيط بكل شيء وهو عليم بكل شيء.

وكل هذه المعاني لهذه الصفة الإلهية مذكورة في القرآن. والآن سوف أقرأ عليكم بعض الآيات من القرآن الكريم التي لفت الله فيها انتباه المـــؤمنين إلى بعض الأمور التي بيَّنها في سياق بيان صفته "الواسع".

يقول الله ﷻ في سورة البقرة في سياق إغواء الشيطان للناس: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦٩)

لقد بيَّن الله تعالى في هذه الآية أسلوبَين يستخدمهما الشيطان لإبعاد الناس عن الله ﷻ، أوّلُهما التخويف من الفقر أي الإفلاس وقلة المال، وثانيهما أنه يأمرهم بالفحشاء.

أما التخويف من الفقر فله أشكال كثيرة. وكان الشيطان قد قال لله ﷻ إنه سيسعى لإغواء الناس عن الصراط المستقيم بالقعود لهم في كل صراط وباتخاذ كل تدبير، فلم يدخِّر جهدا لتحقيق هدفه.

ولكن قعوده في كل صراط لم يكن بناء على قوته الشخصية بل كان الله ﷻ قد سمح له بذلك؛ فقال: إذا كنت مصرا على ذلك فافعلْ ما شئتَ، لكن اعلمْ أنه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص:٨٧)

هذا ما صرح به اللهُ ﷻ للناس في القرآن الكريم بجلاء، حيث قال إذا كنتم تريدون أن تكونوا عبادي فاجتنبوا الشيطان واحذروه. ستبدو لكم أساليب الشيطان للإغواء مغرية وجذابة وجميلة، لكن نتائجها لن تكون في صالحكم.

لقد نصحنا الله ﷻ في عدة مواضع أن نجتنب الشيطان، وبيَّن الأضرار والمساوئ الناتجة عن إغوائه حيث قال ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا﴾ (النساء: ٦١)

ثم أخبر الله تعالى إن الشيطان سيعرّضكم للخسائر والأضرار متنكِّرا في حُلَّة صَديق.

ثم قال في آية أخرى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الأعراف: ٢٣). الخطاب هنا موجَّه إلى آدم وحواء عليهما السلام، لكن الأمر لا يقتصر عليهما فقط، بل الآية تتضمن تحذيرا لجميع الذكور والإناث. وقد قيل إن الشيطان عدو مبين لكلا النوعين من الجنس البشري، فليحذروا من إغوائه وإغراءاته. لذا عليهم أن يعملوا أعمالا صالحة ويولوا عبادتهم اهتماما لائقا.

لقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إن القِصص والأخبار والوقائع المذكورة في القرآن عن الأنبياء السابقين وأممهم ليست من قَبيل الأساطير التي حدثت في الماضي وأعيد ذكرُها في القرآن الكريم، كلا! بل إنه بمثزلة نبوءات ستقع في المستقبل. لذا إذا كنتم مؤمنين صادقين فاحذروا هذه الأمور، لأن حدوثها يمكن أن يتكرر في المستقبل.

اعلموا أن أساليب هجوم الشيطان ظلت تتغير بمرور الوقت. فكل مخترَع جديد وصناعة جديدة إذا كانت تنفعنا بما فيها من ميزات، فإنها في الوقت نفسه يستخدمها الشيطان أيضا في عملية إغواء، ولذلك يقول الله تعالى إن الشيطان سيسبب لكم الخسارة والخسران، وإذا اتبعتموه فسوف تظلون تسقطون في هُوَّة الضلال. لقد قال سبحانه وتعالى في الآية التي تلوتها على مسامعكم من سورة البقرة إن الشيطان يخوفكم من الفقر، ومن معاني الفقر الإفلاس وقلة المال وانكسار العمود الفقري. يقول الله تعالى إن الشيطان يخوفكم أنكم إذا أقدمتم على العمل الفلاني فلن تبقى فيكم قوة حتى تقوموا مستقيمين، وإذا أقدمتم على العمل الفلاني فسوف تتعرضون للفقر والإفلاس وسوف تتخلفون عن ركب التطور والتقدم في هذا العالم عالَمِ التقدم المادي، وإذا قدمتم التضحيات فلن تنالوا مكانة مرموقة في المجتمع.

إذن فالشيطان يستخدم أساليب شتى لتخويفنا من التضحيات، فتارةً يخوِّف بقوله إن الوقت وقت عمل، ولا ينبغي أن تضحوا بهذا الوقت لعبادتكم، وتارة يخوِّف من الفقر والإفلاس ليمنعكم من التضحية المالية، حيث يزرع الشكوك في القلوب ويقول إذا أنفقتم الآن فسوف تتعرض تجارتكم للخسارة، وأحيانا يقول: إذا تبرعتم بهذا المبلغ في الصندوق الفلاني فسوف يتعرض أولادكم للجوع. لكن عباد الله حقًّا لا يتأثرون بتخويفه.

لقد قرأت في جريدة الفضل مؤخرا مقالاً حول الإنفاق في سبيل الله والتضحية المالية، وقد ذكر صاحب المقال قصة أحد أفراد الجماعة في ربوة أنه ذهب إلى محل اللحّام واشترى منه اللحم، وفي هذه الأثناء مرّ به سكرتير المال على الدراجة، فتوقف عنده ليذكّره أنه قد وعد بدفع كذا من المبلغ في الصندوق الفلاني ولم يدفع شيئا إلى الآن والمدة المحددة لدفع هذا التبرع قد أوشكت على الانتهاء. فسأله عن المبلغ المستحق عليه، وحين أخبره سكرتير المال عن المبلغ دفعه فورا وأخذ منه الوصل، وأعاد اللحم الذي كان قد اشترى قبل لحيظات إلى اللحام قائلا اليوم لا نستطيع أكل اللحم ونكتفي بالطعام البسيط العادي.

هؤلاء هم العباد الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، ولا تؤثر فيهم وساوسه حين يقول لبعضهم مثلا: ما هذا الذي تفعله؟ إن لك أولادا يريدون أن يأكلوا اللحم اليوم وأنت تحرمهم من ذلك. هناك بفضل الله تعالى مئات من أمثال هؤلاء المخلصين في الجماعة الإسلامية الأحمدية، وليس هذا إلا مثالا واحدا للذين لا يتركون اللحم فقط من أجل الإنفاق في سبيل الله، بل يتحملون الجوع أيضا. إنهم يعرِّضون أنفسهم للجوع حتى لا يتخلفوا عن التضحية المالية.

ثم هناك التضحية بالنفس والروح، وتاريخ الجماعة الإسلامية الأحمدية حافل بمثل هذه التضحيات. تسقط في باكستان في هذه الأيام مئات الضحايا في أحداث شتى من قبيل العمليات الإرهابية والتفجيرات، ولا يعرف المرء متى يصبح عرضة للرصاص. أما الأحمديون هنالك فيضحون بأرواحهم إذ يعلمون سلفًا أن حياتهم مهدده بالخطر نتيجة عمل معين أو إقامة في منطقة معينة أو نتيجة السير في طرق معينة، وذلك لمجرد انتمائهم إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية، ولكنهم مع ذلك لا ينفكّون يقدمون هذه التضحيات في سبيل الله.

وهناك في تاريخ الجماعة تضحيتان بارزتان في زمن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أعني استشهاد سيد الشهداء (في الجماعة الإسلامية الأحمدية) السيد عبد اللطيف رضي الله عنه رجمًا، واستشهادُ تلميذه المولوي عبد الرحمن رضي الله عنه خنقًا في كابول. وقد أثبتت هذه التضحيات للعالم أن هؤلاء هم عباد الرحمن الذين لا يتخلفون عن أن يجودوا بأرواحهم من أجل تحقيق هدف نبيل، ومن أجل الفوز برضا الله تعالى. وهناك عشرات الأمثلة على هذه التضحيات. إن الأحمديين لم يضحوا بأرواحهم أو لم يتشرفوا باستشهاد نتيجة هجوم مباغت وكانوا في غفلة عن المخاطر التي تواجههم ، بل ضربوا أمثلة سامية لهذه التضحيات حيث ضحوا بأرواحهم بكل شجاعة وبسالة متمسكين بدينهم.

باختصار، يقول الله سبحانه وتعالى عن الشيطان إنه يخوّفكم من التضحية، فيقول طورًا إنكم ستتعرضون للفقر والإفلاس، ويقول تارةً لن تستقيم أمور أبنائكم لو ضحيتم بأرواحكم وسيضيعون. وحينما يخوِّفهم الشيطان من التضحية بالنفس يوسوس لهم أن أولادهم في هذه الحالة سيصبحون يتامى بلا معيل، وسيتشردون. في العصر الراهن يسمَّى الاقتصادُ أيضا العمودَ الفقري، والذين يضحون بأرواحهم وأموالهم وأوقاتهم يخوِّفهم الشيطان من تدهور حالتهم

الاقتصادية وتعرُّضهم وأولادهم للإفلاس، لكنهم يستمرون في تقديم التضحيات ولا يتأثرون من إغوائه. وهناك أنواع كثيرة للتضحيات التي يقدمها الناس مع أن الشيطان يخوِّفهم منها. فمثلا هناك تضحية بالوقت فكل أحمدي يعرف أن جميع المنخرطين بنظام الجماعة من أبنائها لا بد وأن يضحوا بالوقت من أجل الجماعة. فهم يضحون بأوقاتهم للحضور إلى الاجتماعات المختلفة على الأقل. وأغلبية ساحقة من أفراد الجماعة تحضر صلاة الجمعة كل أسبوع ضاربين وساوس الشيطان عُرض الحائط حين يمنعهم من ذلك، وهذا أيضا يتطلب تضحية. لكن هناك أناس آخرون لا يحضرون صلاة الجمعة وقد لا يلتزمون بأداء صلاتي العيد أيضا، ويؤْثرون تجاراتهم على هذه العبادات. أما فيما يتعلق بالحضور في المساجد للصلاة فهذا ما يثير القلق. فهناك عدد كبير من الأحمديين أيضا لا يهتمون بالتضحية بأوقاتهم لأداء الصلوات.

إذن، فإن للكسل في العبادة أسبابا، وأهمها انهماك الناس في أشغالهم وتجاراتهم؛ فلا يضحون عندئذ بأوقاتهم ولا يوفرونها لأداء الصلوات. فيقول الله تعالى عندما تقومون بالتضحيات يخوِّفكم الشيطانُ منها بأساليب شتى، فتارة يخوِّف من الفقر ويمنع من التضحيات، وتارة يمنع من توفير الوقت للصلاة بأساليب أخرى. ويأمرنا الله تعالى أن تحذروه دائما كونكم مؤمنين حقيقيين.

باختصار، يستخدم الشيطان طرقا مختلفة لإبعاد الناس عن الله تعالى، فيظل يجرّبها عليهم باستمرار. فيقول الله تعالى إن الشيطان يخوِّفكم من الفقر من ناحية ليمنعكم من التضحيات، ومن ناحية ثانية يأمركم بالفحشاء ويجعلكم تبذلون المال والوقت في هذا السبيل، وبالتالي فإن الغافلين منكم عن الدين يقعون فريسة إغوائه ويهدرون أموالهم على أمور تافهة. إن الشيطان

يرغِّب دائما شخصا ماديا غير مؤمن للإنفاق في اللهو واللعب مثل الخمر والقمار وما شابههما من المنكرات. فالذين يتبعون الشيطان ينفقون في السيئات والمنكرات بلا هوادة، ولا يشعرون بما يفعلون لأن الشيطان يحرِّضهم على الشهوات والملذات الآنية بحيث لا يعي كثير منهم أنهم يرتكبون خطيئةً، فيتبعون الشيطان وهم لا يشعرون. ولكن الله تعالى يوجِّه المؤمنين ويقول: ﴿لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ لأنه يبذل كل ما في وسعه ليُبعدكم عن الله، فلا تتوقعوا منه خيرا، بل من الغباء حقا أن يخطر ببال أحد أنه يمكنه نيل أيِّ خيرٍ من الشيطان لأنه لا يهمّه إلا أن يدفع الإنسان إلى الفحشاء والمنكرات ويأمره بها. لو سألنا أي إنسان عادي في الدنيا عن تصوره للشيطان لقال من فوره: أعوذ بالله منه، ولكن الشخص المادي الغافل عن الدين الذي يجري وراء الشيطان بعيدا عن التضحيات منغمسًا في الفحشاء غير مدرك ماذا يفعل، فإن الشيطان يستقطب أمثاله ليحقق بُغيته التي أعلن عنها إذ قال إنه سيُبعد الكثيرين من الله تعالى. لذلك قال تعالى احذروا من مكائد الشيطان وخداعه – فإنه يقوم بمكر كبير ليغويكم – وعودوا إلى الله تعالى، فالعودة إليه ﷻ هو الهدف الحقيقي من خلقكم، والسبيل إلى ذلك هو أن تخضعوا له ﷻ تائبين، ففي هذه الحالة يعدكم الله تعالى بالمغفرة، فسيغفر لكم ما تقدم من ذنوبكم وأخطائكم ويوفقكم للحسنات في المستقبل ويرزقكم مغفرته وفضله.

لقد استخدم الله تعالى هنا الكلمة: "يَعِدُكم"، وبذلك قد طَمْأَنَ العبادَ أنهم إذا تابوا توبة صادقة فسيحظون بالمغفرة بالتأكيد، ولا يقتصر الأمر على المغفرة فقط بل ستُفتح لهم أبواب رحمته من حيث لا يحتسبون.

لقد ذكر الله تعالى في هذه الآية أن أول ما يقوم به الشيطان هو تخويف الناس من الفقر، أي أنه يخوِّفهم من الإفلاس لو قدموا التضحيات المالية. وكما

أن الإنسان لا يستطيع الوقوف بدون العمود الفقري كذلك يخِّوف الشيطانُ الناسَ قائلا ستواجهون نتيجة التضحيات فقرًا مدقعًا وسوءَ حالٍ بحيث لن تعودوا قادرين على الوقوف على أقدامكم.

فيقول الله إن الشيطان كاذب وسيُخلِف وعده ويتراجع يوم القيامة عما قاله، ولكن الله تعالى يعدكم أنه سيغفر لكم، وبالتالي سوف يغدق عليكم إنعاماته في الدنيا، كما وعد الله ﷻ أنه سيستر الإنسان في رداء مغفرته في حياة الآخرة أيضا. الشيطان يأمر الإنسان بالفحشاء فإذا ارتكبها واجه مشاكل كثيرة في الدنيا، فمثلاً يصاب بأمراض كثيرة نتيجة تورطه في المنكرات، كما يتعرَّض لخسائر مختلفة في الدنيا، ثم له العذاب في الآخرة عقابًا على ارتكابه الفواحش. ولكن الله تعالى قد وعد المؤمنين أنه سيزيد لهم أفضاله على الدوام ويفتح عليهم أبواب بركاته، الأمر الذي سيقربّهم إليه ﷻ في الدنيا والعقبى ويرفع درجاتهم باستمرار. يقول الله تعالى إنه وعدٌ من الله الذي هو مالك السماوات والأرض، وهو واسع ويملك كنوزا من الأفضال والبركات لا تنتهي.

إن كل مسلم أحمدي يقوم اليوم بأية تضحية يدرك جيدا أن الله تعالى يُنزل عليه بعد كل تضحية أفضالا تفوق التصور ويبارك له من حيث لا يحتسب، وهذا ما يكتب إلي كثير من الإخوة في رسائلهم ويقولون: لقد بورك في أموالهم وأرزاقهم لدرجة لم تكن في حسبانهم قط. والذين يضحون بأرواحهم يبارك الله تعالى في أموالهم ونفوسهم بركات تفوق تصور أولادهم. هناك كثير من العائلات التي نال بعض أفرادها درجة الشهادة في سبيل الجماعة، ويشهد أولاد هؤلاء الشهداء وأقاربهم على أن الله تعالى قد أنزل

عليهم بسبب تلك الشهادة رحمة وبركات لا تُعدُّ ولا تُحصى، وشاهَدوا ما لا يُعَدُّ ولا يُحصى من مشاهد نزول أفضال الله الواسع العليم.

وباستخدامه كلمة "عليم" هنا قد وجّه الله ﷻ أنظارنا إلى أنه أعلم بتضحياتكم وأعمالكم، لذا سيعطيكم الله الواسعُ حظًّا من أفضاله أوسعَ وأوفرَ بكثير مما تتوقعون؛ لما تقومون به من أعمال صالحة في المستقبل أيضا ابتغاء مرضاته. هذه هي النقطة الأساسية التي يجب أن نضعها في الاعتبار دائما.

ثم انظروا كيف يمنّ الله على المؤمنين ويزيد إحساناته عليهم، فلا تتسبب توبتهم واستغفارهم وأعمالهم الصالحة وتضحياتهم وحدها في مغفرة ذنوبهم، بل قد سخر الله تعالى – برحمته الواسعة – الملائكة ليستغفروا للذين يؤمنون ويتوبون ويحاولون السلوك في سُبل ربهم ويقدمون التضحيات ابتغاءَ مرضاته، فيقول تعالى في سورة غافر: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (الغافر: ٨)

وحَمَلَة العرش هنا هم الملائكة. وقد ذكر الله تعالى في سورة الحاقة بوضوح أن الملائكة سيحملون العرش يوم القيامة فقال: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٨)

والمراد من العرش هي الصفات الإلهية التي أُمِرَ الملائكةُ بإظهارها وكشفها. وهذه الصفات الأساسية مذكورة في سورة الفاتحة وهي الرب، والرحمن، الرحيم، ومالك يوم الدين، وهي تنفع الناس في هذه الدنيا. والذين يؤمنون ثم يتوجهون إلى التوبة بعد الإيمان ويخضعون أمام الله ويعملون الصالحات يستغفر لهم الملائكة أيضا، ولا سيما الملائكة الذين أمرهم الله تعالى بإظهار هذه الصفات على عباده. علمًا أن كلَّ مَلاك يدعو الله تعالى بواسطة

صفة ربانية معينة كُلِّف بإظهارها. فالملائكة يستغفرون للذين آمنوا، ثم يحاولون بعد ذلك أن ينالوا قرب الله ويتقدموا في درجات القرب دائما تائبين لله وقائمين بصالح الأعمال، لكي يتجنبوا هجمات الشيطان.

كذلك فإن الملائكة الذين يعملون تحت الملائكة الكبار الذين يحملون العرش أي الصفات الإلهية – علمًا أن هناك ملائكةً مسؤولين في نظام الملائكة الذي أقامه الله، وهناك ملائكة آخرون يعملون تحتهم – هم الآخرون يستغفرون للذين هم عباد الله حقا. وهذا يعني أن الله تعالى قد جعل نظام الملائكة أيضا نشيطا ليعطي عباده الصالحين أجورا كبيرة على أعمالهم الحسنة؛ إذ أمر الملائكة أن يستغفروا لهم، الأمر الذي يتسبَّب في ازدياد أجورهم من ناحية، ومن ناحية ثانية يُوفَّقون دائما للقيام بالأعمال الصالحة والتوبة بسبب استغفار الملائكة لهم.

من المعلوم أن العبد مفطور على الخطأ والتقصير، فلو صدرت منه أخطاء غير متعمَّدة.. ثم تعرّضَ للعثار مؤقتا لدعا الملائكةُ ربهم – متوسلين بصفاته الحسنة وعلمِه الذي لا يعرف الحدود والقيود – أن يغفر له ويوفِّقه أن يحظى بمغفرته في المستقبل أيضا.

لقد ذُكرت الرحمةُ أولاً ثم ورد الدعاء للمغفرة لأنه لا يمكن الحصول على المغفرة إلا بفضل الله تعالى، لذا يقول الملائكة: نرجوك يا رب أن اغفر لهم وأَعْطِهم نصيبا وافرا مِن غفرانك الواسع. إن علمك واسع يا ربّنا وأنت أعلم بما في صدورهم، فأنت تعلم بما سيكسبه الناس من أعمال فيما بعد أيضا وتحيط بهم علمًا، وتعلم ما إذا كانوا سيَفسُدون في المستقبل ليصبحوا حطب جهنم، ومع ذلك ندعوك يا ربّ أن توسِّع رحمتَك لهم وأن تديم أعمالهم

الحسنة حتى يكونوا ميالين وراغبين في الحسنات دائما ويتّقوا نارَ جهنم. وإذا شملْتَهم برحمتك فسيوفَّقون لتحقيق هذا الهدف.

هذا هو ربُّنا الرحمن والغفورُ الرحيمُ الذي يستخدم كل أسلوب لمغفرة الإنسان وتثبيته على الحسنات. عندما يرتكب الإنسانُ ذنبًا يعاقَب بقدر ذنبه فقط، أما إذا كسب حسنة يُثاب بعَشْرِ أمثالها. وفيما يتعلق بالتضحيات فقد قال تعالى إنه يجازي عليها إلى سبعمائة ضعف أو أكثر، لأن الله ﷻ واسعٌ ويجزي عباده بغير حساب. ولكن انظروا إلى الإنسان كم هو كَفور وناكرٌ للجميل! إذ يُعرِض عن هذا الرب.. الذي لا حدود ولا نهاية لما عنده من الأجور.. فيقع في شراك إغواء الشيطان ويُسرع إلى الأجور المؤقتة.

ثم يذكر الله تعالى رحمته التي نزلت نتيجة دعاء موسى عليه السلام فيقول في كتابه المجيد: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾(الأعراف: ١٥٧)

لقد بين سيدنا المسيح الموعود عليه السلام - كما ذكرتُ من قبل أيضا - أن قصص الأنبياء المذكورة في القرآن الكريم إنما هي بمنزلة الأنباء المستقبلية، لذا حين تُذكر هذه الأدعيةُ ثم يذكر الله تعالى رحمتَه فهذا يعني أن هذه الرحمة واسعةٌ اليوم أيضا كما كانت واسعةً في الماضي شريطة أن يسعى الإنسان للعمل بالشروط التي بيّنها الله تعالى. يقول الله تعالى في بيان رحمته.. التي لا حدود لها ولا نهاية.. إنها وسعتْ كلَّ شيء، ولكنه ﷻ إلى جانب ذلك وجّه الإنسان إلى الهدف من وراء خلقه فقال: صحيح أن رحمتي وسعتْ كل شيء ولكن هناك بعض المسؤوليات أيضا التي قد كُلِّفتم بها فأدُّوها بأحسن وجه ولا تتبعوا خطوات الشيطان. ومن تلك المسؤوليات أن تتحلَّوا بالتقوى واعبدوني

وأَحِبُّوني بحب لا يوجد في جميع العلاقات الأخرى، وقدِّموا تضحياتٍ ماليةً لأداء حقوق الله وحقوق العباد، وآمِنوا بآياتي. إن بعثة المرسَلين من الله والأصفياء إلى الدنيا أيضا من آيات الله ورحمته لأن بعثتهم تكون مصحوبة بسلسلة من آيات الله ﷻ، فنرى في العصر الحاضر أيضا أن الله تعالى قد أظهر ولا يزال يظهر من آياته ببعثة المسيح الموعود عليه السلام الذي هو محب صادق للنبي ﷺ، فشاهدنا هذه الآيات بصورة الكسوف والخسوف أحيانا وفي شكل الزلازل أو الطاعون أحيانا أخرى. ثم إن الاكتشافات الحديثة التي كانت قد أُنبِئ عنها مسبقا هي الأخرى تشكل آيات باهرات تتحقق في كل يوم جديد، ولا يزال الله تعالى يري هذه الآيات منذ زمن بعثة المسيح الموعود عليه السلام. ويعترف معارضونا أيضا بأن الزلازل كثرت والأمراضُ انتشرت أكثر من ذي قبل. لا شك أن هذه الزلازل والأمراض كانت موجودة من قبل أيضا ولكن وطأتها لم تكن شديدة كما هي الآن بحسب اعترافهم. ثم إذا كان المدّعي موجودا ويعلن أن هذه الأحداث ستقع حتما وستكون تأييدا له فعندئذ يشكل وقوعها آية في حقه. يقول الله تعالى: أمْعِنوا في آياتي وآمِنوا بها ولا تستهزئوا بمن أرسلتُه، فلو عملتم بذلك لشملتكم رحمتي التي لا حدود لها وسيمتد نزولها عليكم، وستنزل حتما على الذين يعملون الصالحات. أما ما عدا ذلك فالأمر بيد الله تعالى، فهو المالك والقادر.. يعذِّب من يشاء ويغفر لمن يشاء. ولكن الله تعالى جعل رحمته تسَع كلَّ شيء لذا يجب على الإنسان أن يأمل في مغفرته دائما ويحاول الامتثال لأوامره. وهذا ما يجب على المؤمنِ بوجه خاص، ولا يليق به أن يُعرض عما أوجب الله على نفسه ويظن أنه يمكنه أن يفعل ما يشاء وسيُغفر له حتما لأن رحمة الله واسعة. كلا بل إن ظنه هذا ظن خاطئ، بل إنه لظنّ الأغبياءِ وسببُه عَدَمُ إدراكِ صفاتِ الله تعالى ليس إلا.

لقد وضَّح سيدنا المسيح الموعود عليه السلام هذا الموضوع قائلا: "يتضح من هذه الآية أن الرحمة شاملةٌ وواسعةٌ، أما الغضب الناجم عن صفة العدل فيحل لسبب معين. وتظهر هذه الصفة حين يتجاوز الناس حدود قانون الله."

لا شك أن رحمة الله واسعة، وأن غضبه لا يحل إلا حين يقتضيه العدل. أي عندما يحكم الله تعالى في أمر ما بالعدل تقتضي هذه المناسبة حلول غضبه، وعندما يخالف الإنسانُ قانونَ الله تعالى ويتجاوز حدوده عندها تتجلى صفة الله جل جلاله المتعلقة بالعدل. إذن فالله تعالى يعاقب – بحسب قانون الطبيعة الذي وضعه بنفسه– قومًا يتجاوزون الحدود. لذا لم يقل الله سبحانه وتعالى إن رحمتي تشمل الآثمين المذنبين، بل قال إن رحمتي تشمل المتقين الذين يؤتون الزكاة والذين يؤمنون بآيات الله. فمن واجب المؤمن أن يسعى دائما للحصول على رحمة الله تعالى ثم يرجو رحمة ربه الواسعة. ندعو الله تعالى أن يوفقنا جميعا لذلك، آمين.